بحث رقم (٣)

استلهام قيم العمارة الاسلامية في العصر الحديث

المسجد الكبير ومسجد الراشد بدولة الكويت نموذجا

أ/ فهد عبدالله الأنصاري

باحث تخصص تاريخ الفن الإسلامي

استلهام قيم العمارة الاسلامية في العصر الحديث

المسجد الكبير ومسجد الراشد بدولة الكويت نموذجا

أ/ فهد عبدالله الأنصاري

باحث تخصص تاريخ الفن الإسلامي

ملخص البحث:

يتناول البحث نقاط متنوعة أهمها القيم التي استلهمتها العمارة الإسلامية وذلك في تطبيقات على المسجد الكبير للدولة ومسجد الراشد وكل النماذج المذكورة في دولة الكويت، حيث يذكر فيها ابرز ما يوضحه الباحث من قيم نتيجة الاستلهام من الطراز الإسلامي تبعا لعصور مختلفة سواء كانت مطابقة أو متخذة بصورة مستحدثة .

مقدمة:

نشأ الفن الإسلامي في القرن السابع وظل يزهو حتى بلغ ذروتة في القرنين الثالث والرابع عشر، ثم ابتدأ يضعف في القرن الثامن عشر بعد ان تأثر في الفنون الغربية ، واقبلوا الفنانون على تقليدها[١]. فالعمارة الإسلامية فروعها دراسة جميلة استوقفت الكثير من محبي العمارة ، وتمتاز العمارة الإسلامية بخلوها من الصور المجسمة والاكتفاء بإبراز الفن المعماري الجيد الى جانب ارتباطها بالتعاليم الإسلامية فناظر الى العمارة الإسلامية يشاهد الآيات القرآنية واسماء الله الحسنى تزين الجدران الى جانب أسماء الانبياء والرسل و سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتنقسم العمارة الإسلامية الى ثلاث أقسام وهي دينية وحربية واخيرا مدنية [٢].

فالعمارة الدينية تنقسم على المساجد والمدارس اما الحربية فمثل الحصون ، القلاع، الأسوار ، فنادق وبالنسبة للمدنية فهي تمثل القصور ، المستشفيات ، الأسواق ، الجسور.

والتعريف للعمارة هي كل معماري أنجزه الإنسان بتدبير عقلي جميل ويتماشى مع ظروف البيئة.

مسجد الدولة الكبير:

هو مسجد كويتي يقع في مدينة الكويت قرب شاطئ الخليج العربي، افتتح عام ١٩٨٦م بناءً على توجيهات من الشيخ جابر الأحمد الصباح. بدأ العمل في بنائه خمسون مهندساً و أربعمائة وخمسون عاملاً. صمم المسجد الدكتور محمد مكية و اختار تصميمه على الطراز الأندلسي الفاخر و تبلغ مساحة المسجد ٤٥ ألف متراً مربعاً، منها ٢٥ ألف متراً مربعاً مبنية، و ٢٠ ألف متراً مربعاً مكشوفة تشكل حدائق و ممرات المسجد الخارجية.

شكل رقم ١ لقطة للمسجد الكبير ملتقطة من مأذنة المسجد المصلى الرئيسي

فأما المصلى الرئيسي أو القاعة الرئيسية مربعة الشكل طول ضلعها ٧٢ متراً، و مساحتها ٥١٨٤ متراً مربعاً، و بذلك تتسع لأكثر من عشرة آلاف مصلٍ، و هي مخصصة لصلاة العيدين و الجمعة و المناسبات الدينية حيث تتجمع الحشود الضخمة، و ترتفع وسط هذه القاعة الرئيسية القبة الضخمة التي تضارع أضخم قباب المساجد الفخمة ، فارتفاعها عن أرض المسجد يصل أعلاه إلى ٤٣ متراً، و قطرها ٢٦ متراً، و يحيط بها من جوانبها مائة وأربع وأربعون نافذة، وتحملها أعمدة أربعة طول كل منها اثنان وعشرون متراً.

وتتغلغل أشعة الشمس من خلال الجبس المفرغ المعشق بالزجاج الأبيض الذي يغطي فتحات الشبابيك الخلفية فتلقى بظلال رائعة في الحسن، متعددة في الألوان، تنضم إلى ما في القبة من خطوط كتبت بقلم الثلث على السيراميك، الأصفهاني الذي يغلب عليه اللون الأزرق المعشق باللازورد.

وفي سرة القبة جرى قلم الخطاط الشهير محمد الحداد – الذي خط جميع كتابات المسجد الكبير – على شكل قرص الشمس بأسماء الله الحسنى بالخط الكوفي المورق باللون الأبيض على أرضية سيراميكية زرقاء اللون كزرقة البحر الساحر.. و تحف بالقبة أربع قباب صغيرة من الجوانب الأربعة منقوشة بالجبس المغربي، تتدلى منها أربعة ثريات من الكريستال و النحاس المطلي بالذهب.

وهي ايطالية الصنع و تحتوي كل ثريا على أكثر من مائة مصباح و طولها ٧.٥ متراً و عرضها ٣.٥ متراً ووزنها ١٠٠٠ كجم.. ولا تقتصر إضاءة بيت الصلاة الرئيسي على هذه الثريات الأربع الكبيرة، بل هناك ثمانون ثريا حائطية و سقفية ألمانية الصنع زجاجها من الكريستال، تنتشر في أرجاء القاعة كأنها مع الثريات الكبرى الكواكب السابحة حول النجوم المنيرة في جو السماء.

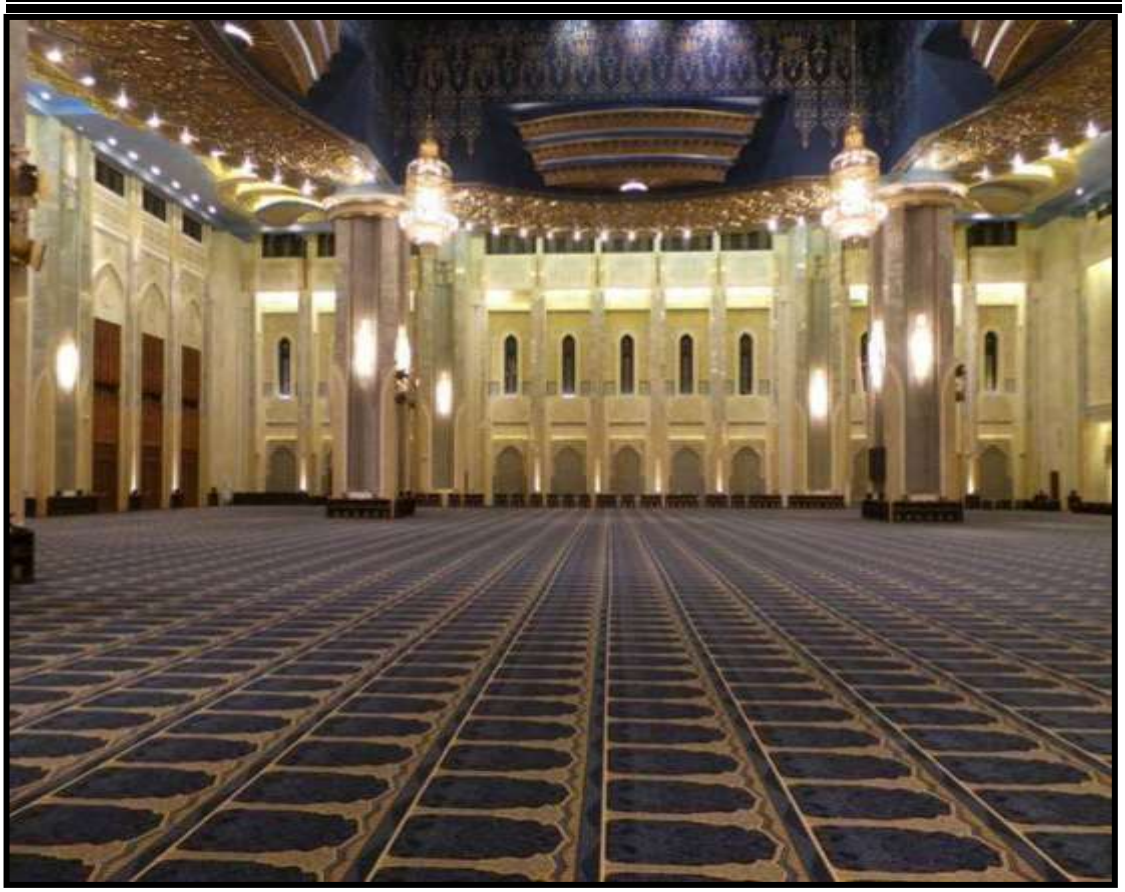

شكل رقم ٢ صورة من احد زواية المسجد في المصلى الرئيسي تصوير الباحث

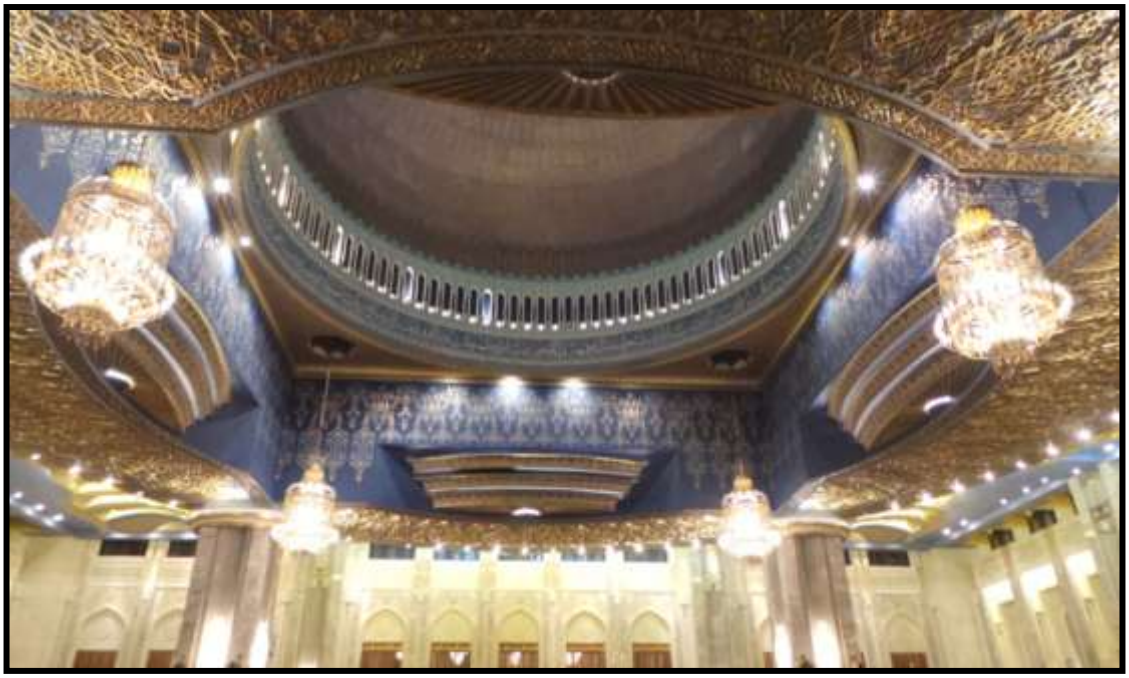

شكل رقم ٣ شكل القبة الرئيسية كما مبين المنظر اللون الأزرق محتوي الظهور في الشكل تصوير الباحث

شكل رقم ٤ يوضح عامود أسفل القبة ذو تاج مستحدث تصوير الباحث

كما هو في شكل ٣ اتخذ التاج الشكل المدل على ورقة نباتية بدلالة الألوان الزاهية وهو الذهبي مع فواصل التوضيح للورق بالأزرق واستغل الإضاءة كنوع من التجميل للطراز ذاته[٣] .

شكل رقم ٥ يوضح فيه القباب الصغيرة في الجوانب لسقف المسجد تصوير الباحث

يوضح الشكل ٥ عدد القباب الصغيرة لتعطي الفخامة كذلك في التنوع للديكور المستخدم ايضا ، وشكل الشبابيك العلوية التي تساعد على دخول النور الخارجي ولكن

لشدة حرارة الطقس في الكويت استخدموا الزجاج السونكريت المدعم للحفاظ على الحرارة الداخلية وكذلك دخول الضوء ومنع الحرارة بالدخول

المحراب

ويلفت النظر في القاعة الرئيسية في المسجد الكبير في دولة الكويت المحراب الرئيسي، و هو أوسط سبعة محاريب تتصدر جدار قبلة الصلاة، و تغلب عليه الألوان المستوحاة من البيئة الكويتية و هي الأزرق و الأصفر، و هو مكسو من الداخل بمسطح من الزليج المغربي منقوش بنقوش هندسية إسلامية، و تبرز فوقه آية كتبت بخط الثلث باللون الأزرق على أرضية صفراء يحيط بها آية أخرى بالخط الكوفي على الحجر الطبيعي الباكستاني، فيما يظهر تحت البرواز عمودان من رخام يوناني أبيض صاف تنتشر فيهما الزخرفة بالأشكال الهندسية.

شكل رقم ٦ منظر يوضح لمحراب الصلاة يتوسط المنبرين ويحيط المحراب عامودين على ذو التيجان الملساء

كما هو في الشكل رقم ٦ واجهة المحراب الرئيسي للصلاة وكما هو معروف وسبق ذكره في الدراسات السابقة انه مكان الإمام للصلاة حيث ما يميزة في السابق بأنه ذو عمق ومقوس ليساعد على تكبير الصوت سابقا ، كما نجد العامودين ذو التاج الملساء القرطبية وهذا يمكن الاطلاع عليها في المراجع للمعرفة أيضا.

المنبر

أما المنبر فهو من خشب الساج المتين و مدخله يسار المحراب و درجاته الدائرية الأربع عشرة مخفية خلف المحراب داخل جدار القبلة، و ارتفاعه قرابة مترين و فيه نقوش و أشكال بديعة.

المصلى الرئيسي

أما المصلى اليومي فهو خلف المصلى الرئيسي من جهة الشرق متصل به في البناء و مساحته تتسع لخمسمائة مصلٍ في وقت واحد و يستخدم لأداء الصلوات الخمس اليومية و الدروس الدورية العادية المنتشرة في معظم مساجد الكويت عقب بعض الصلوات حسبما يراه الإمام و يناسب المصلين، وفي هذا المصلى اليومي محراب خاص من خشب الساج و حوائطه على شكل أقواس من الديكور والزليج المغربي و تتدلى من سقفه تسع ثريات ألمانية بديعة الجمال.

مصلى النساء

ويوجد مصلى خاص بالنساء فوق المصلى اليومي وهو متصل ايضاً في بنائه بالقاعة الرئيسية و يشرف عليها من جهتها الشرقية، و مصلى النساء هذا يتسع لألف مصلية،و حائطه القبلي المشرف على المصلى الرئيسي مكون من أحد عشر مشربية رائعة الشكل و الزخرفة تسمح بسماع صوت الإمام و الخطيب ولا تتيح المجال لظهور النساء من خلفها، ومما يذكر أن في هذا المصلى ١٨ ثريا للإنارة، و حوائطه على شكل بواكي قوسية ملبسة بالسيراميك الأصفهاني الملون، ولهذا المصلى الخاص بالنساء مدخل مستقل من الجهة الجنوبية للمسجد، وله أيضا مرافق للوضوء والطهارة ملحقة به، وبه مصعد كهربائي.

المئذنة

ومئذنة المسجد الكبير في الكويت تمتد في السماء كالسهم، وهي منفصلة عن البناء في الجهة الغربية الشمالية منه تحف بها أعمدة من أعمدة الأروقة ترتبط بقاعدتها الضخمة كأنها الحرس المحيط بالعلم، وارتفاعها الكلي ٧٢ مترا، وبعد أكثر من ثلثيها يرتفع بيت المؤذن (الشرفة) المحاط بأعمدة تحمل سقفا له، ومن وسط سقف بيت المؤذن تستمر المنارة في الارتفاع بقطر يقل عن نصف قطرها الأساسي حتى تختتم بقبة صغيرة تعتّم بها ويزينها فوق قبتها هذه هلال ضخم يرتفع فوق عمود من النحاس والمئذنة مضلعة الشكل عدد أضلاعها اثنا عشر ضلعا وهي مكسوة بالحجر السوري الجيد المجلوب من طرطوس،وفي داخل المئذنة استخدم مصعد كهربائي يصل إلى أعلاها عوضا عن الدرج المعهود في المآذن الأخرى، وإذا ما نظرت إلى المنارة في الليل أخذت بلبك الأنوار المسلطة عليها من كل جانب، حتى إذا كادت تختفي أشعتها تحت بيت المؤذن انطلقت أضواء أخرى أشد لمعانا فأنارت القسم العلوي من المئذنة ببريق يخطف الأبصار.

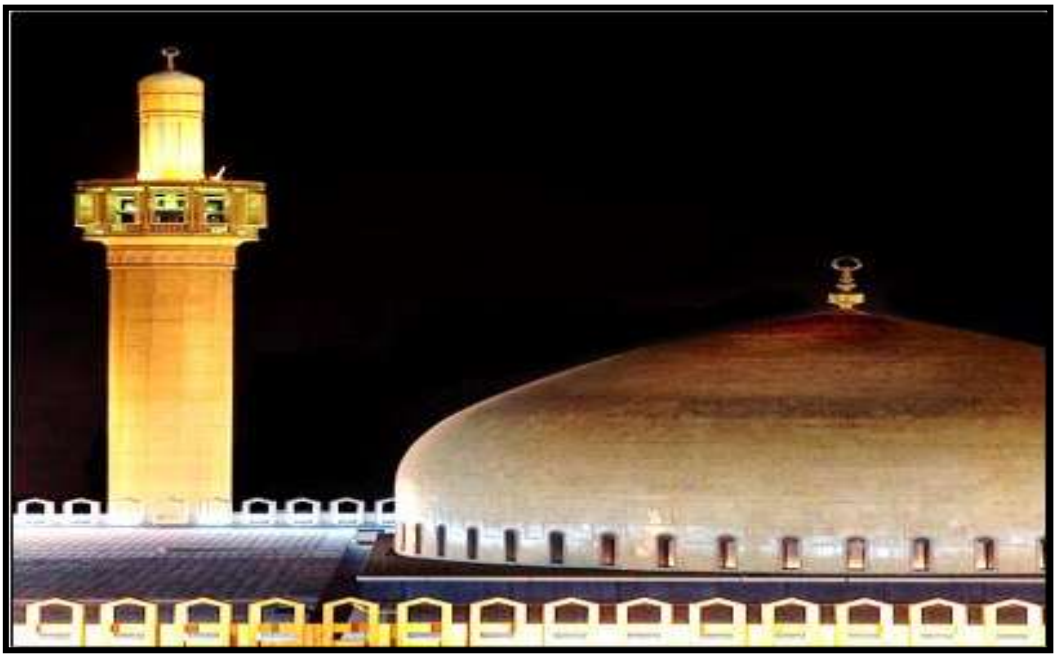

شكل رقم ٧ منظر لمئذنة المسجد وشكل القبة من الاعلى صحن المسجد و توابعه

وفي الجهة الشرقية من المسجد الكبير في الكويت صحن المسجد الرئيسي الفسيح الواسع الذي تحف به الأروقة من جوانبه الثلاث، وهي ترتفع على أعمدة مسافة ثمانية

أمتار، وتتدلى من سقفها فوانيس حديثة الصنع قديمة الشكل، وطول تلك الأروقة ٧٦٠ مترا وهي تقي من الشمس والمطر، وتستخدم للصلاة أحيانا، وحوائطها من السيراميك الجميل.

وللمسجد صحنان آخران أصغر من هذا، ومساحة تلك الصحون كلها ٨٠٥٣ م٢، وقد استخدم في أرضيتها حجر الكوتا الهندي بألوانه الطبيعية التي تقارب ألوان البيئة الكويتية القديمة.

وفي الجهة الشمالية والجنوبية من الصحن الشرقي بنيت دورات المياه التي تضم ١٣٣ ميضأة و٧٨ حماما، وحوائط تلك الميضآت من السيراميك الأصفهاني، ومقاعد الوضوء فيها من الرخام الكرارة الإيطالي وفي حوائطها نوافذ واسعة للإضاءة الطبيعية وتجديد الهواء.

وتحت صحن المسجد حفر في باطن الأرض موقف للسيارات ضخم مكون من خمسة أدوار يتسع لـ ٥٥٠ سيارة وله مصاعد في جوانبه توصل الناس إلى الصحن والأروقة.

شكل رقم ٨ يبين المساحة لصحن المسجد بارضية الرخام

أبواب المسجد

وجميع أبواب المسجد الكبير في الكويت من خشب الساج الهندي الذي صنع وحفرت عليه الآيات القرآنية بالخطوط المتنوعة والزخارف الهندسية والنباتية المورقة بمهارة عالية في الهند، وعدد تلك الأبواب واحد وعشرون بابا: منها أربعة عشر باباً من ناحية الشرق، وأربعة في الجهة الجنوبية، وثلاثة في الجهة الشمالية.

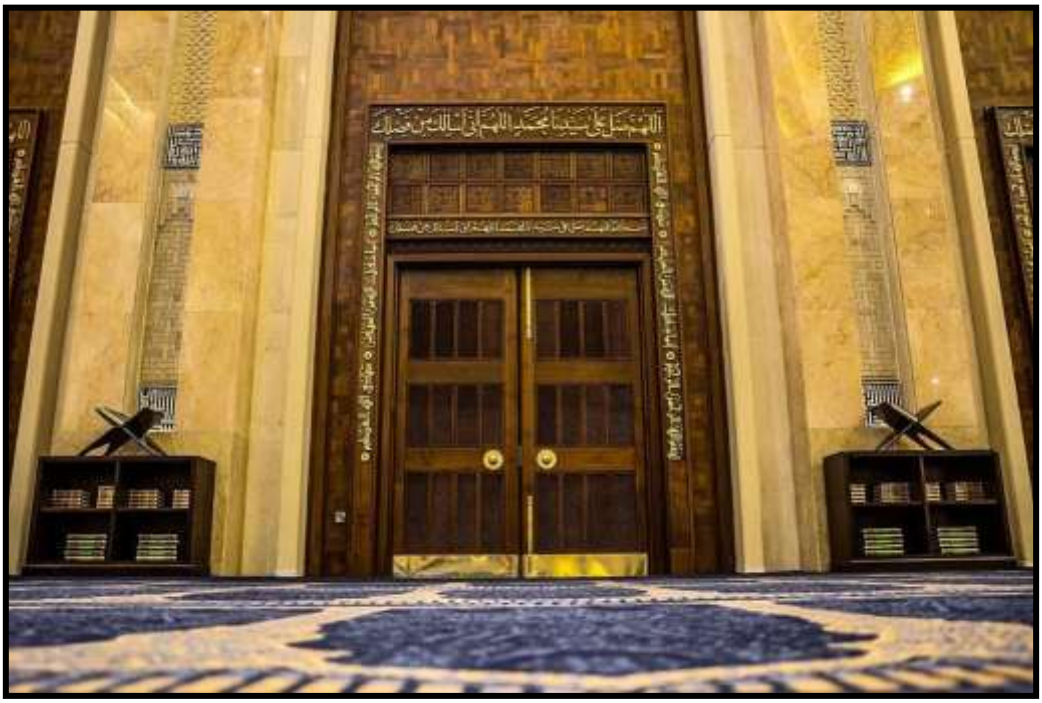

شكل رقم ٩ لاحد ابواب المسجد

المكتبات و القاعات الدراسية

وفي المسجد الكبير في الكويت مكتبتان:

١. الأولى مكتبة شرعية ضخمة للمختصين من أهل العلم وأصحاب الدراسات والبحوث، وفيها خلوات خاصة للقراءة والمطالعة

٢. ومكتبة أخرى في لغات عالمية شتى غير العربية، تحوي العديد من الكتب والأشرطة وخلافها عن الإسلام، ليتسنى لزوار المسجد غير المسلمين أو غير العرب من المسلمين فرصة الإطلاع على حقائق الإسلام ومبادئه الراقية وهذه المكتبة الثانية توزع كتبها بالمجان على الزوار، فيظهر أثرها بإسلام بعضهم لله رب العالمين.

وإلى جوار المكتبتين توجد قاعة من دورين تستوعب ٢٥٠ شخصا، يتم فيها تنظيم وإلقاء المحاضرات العلمية والندوات الخاصة، وتقام فيها البرامج التعريفية بالمسجد إضافة إلى الأنشطة العلمية والثقافية الأخرى مما ينفرد به المسجد الكبير دون غيره وهذا يجعل من زيارته متعة وفائدة.

مسجد سعود عبدالعزيز الراشد

- دولة الكويت – محافظة العاصمة – العديلية .
- افتتح في رمضان ١٤٢٥هـ اكتوبر ٢٠٠٤م .
- استغرق فترة بناؤه عام .
- يمثل الطراز الاسلامي المستحدث.
- يرتقي علو المسجد مأذنتين يصل اقصى ارتفاع الواحدة ٢٥م
- عدد القباب اربعة قباب تتمركز القبة الكبرى المصلى الرئيسي والثلاث الباقي فوق كل مدخل.
- يتكون المسجد من ثلاث مداخل مختلفين الجهات .
- جدار القبلة عبارة عن المحراب الرئيسي و منبرين .
- مصلى النساء في الطابق العلوي .

شكل رقم ١٠ لاحدى واجهات مسجد الراشد من الخارج ويبدو شكل الايوان الجنوبي للمسجد تصوير الباحث

كما هو في الشكل ١٠ شكل الايوان ذات الاقواس المرتفعة مع المنظر الليلي بتأثير الاضاءة على الجدار الخارجي للمسجد.

شكل رقم ١١ ملتقط من احد زوايا المسجد ليوضح القيم الجمالية في الديكور المستخدم في المصلى الرئيسي تصوير الباحث

شكل رقم ١٢ منظر لقبة المصلى الرئيسي تصوير الباحث

كما هو في الشكل ١٢ رقم منظر للقبة ويبدو المعلقة المضيئة ، فالشكل العام للقبة بسيط ليكون النقوش والزخرفة واضحة مع الايات القرآنية و اذكار الحمد لله و سبحان الله ، ومن المعروف عليه لتاريخ القباب انها بدأت بشكلها قبل الاسلام فكانت اما صغيرة

مكونة من قطعة واحدة او مبنية بعدة طبقات مركبة اما بعد الاسلام فبدأ استخدام القبب الحقيقية ذات الهيكل الداخلي المتصل والموحد ، اول القباب في المنطقة العربية كانت مبنية بالطوب في منطقة الجزيرة الفراتية في شرق سوريا وشمال العراق وذلك في الالفية الرابعة قبل الميلاد (القرن الاربعين قبل الميلاد) في الحضارة السومرية كانت تستحدم لتسقيف الاكواخ الطينية والمخازن والقبور ، بعد ذلك تطور استخدام القباب بتطور مواد البناء حين شاع استخدام الطابوق والحجر الجيري على ايدي الامم التي توالت على المنطقة[٤].

شكل رقم ١٣ يوضح محراب الصلاة بنمط خشبي تصوير الباحث

كما هو في الشكل رقم ١٣ يبدو المحراب بالخشب الفاخر ويعطي قيمة الحراب ولالة المحراب كوظيفة ، حيث الحكمة من المحراب بالتاكيد انه يفيد في تعيين اتجاه القبلة كما يفيد في تحديد مكان امام الصلاة ويفيد ايضا في توسيع طاقة المسجد بما يقرب من المصلين في الصلاة الجامعة ، ليتسع للأمام في ركوعة وسجودة اثناء الصلاة بجيث لايشغل مساحة كبيرة يستهلكها هذا الامام من اصل مساحة دون أي طائل او فائدة[٥].

شكل رقم ١٤ وهو الموضح للمحاريب المجاورة لمحراب الصلاة تصوير الباحث

اما الشكل رقم ١٤ فيبن لاحد زوايا جدار القبلة وهو بشكل المحاريب ولكن هنا اخذت طابع الاقواس وبدو التجويف بالعمق للداخل مع بروز شكل الاعمدة المرسومه او التى برزها اللون الغامق المنقوش على الابيض

شكل رقم ١٥ يوضح المنبر في المسجد بزخارف نباتية متتالية تصوير الباحث

يبدو الشكل رقم ١٥ للمنبر الخشبي المبسط والذي تظهر فيه نقوش الخشب وهي اقواس تتوسطها ورقة النبات المستخدم نفسها في الشرفات كما يمتد المنبر عن الحائط

بشكل بسيط وبيمنا يلتف برواز خشبي بنقوش محفورة ، فقد مر المنبر على تطورات حسب الازمان حيث كان في عهد السول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يتكون من درجتين ومقعد و في زمن الدولة الاموية زاد معاوية بن ابي سفيان في النبر فجعلة ست درجات وقد استمرت التطورات والتغيرات(٦).

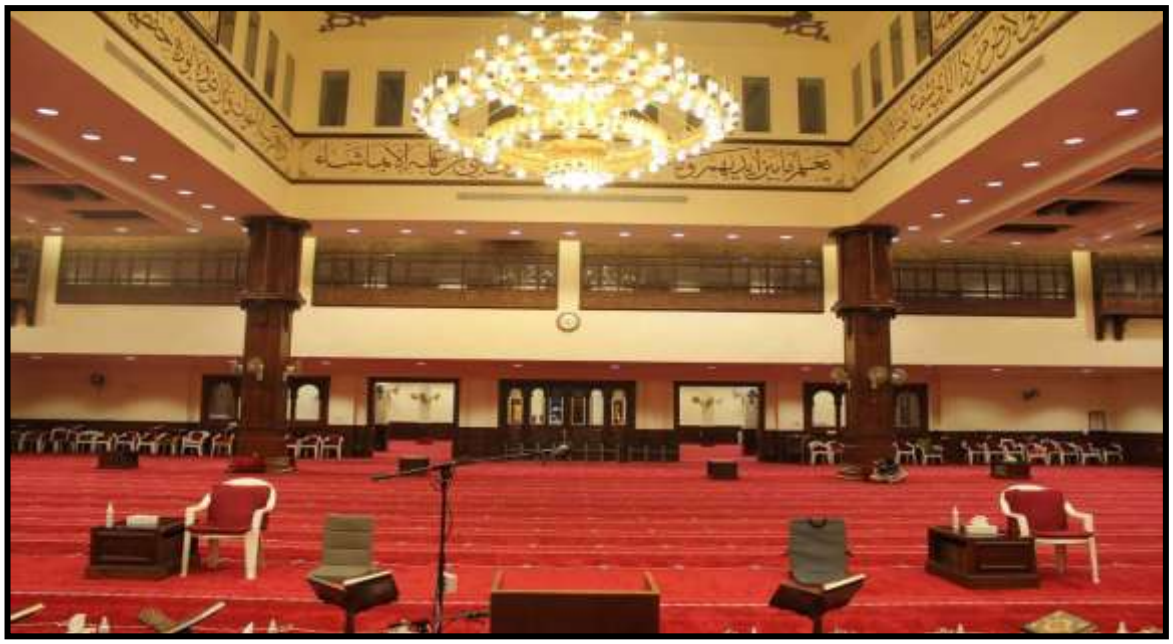

شكل رقم ١٥ لقطة من المنبر توضح مكان المصلين اتجاه حائط القبلة وكذلك تبين المنظر العام لمكان الصلاة الرئيسي

شكل رقم ١٦ يوضح أحد أبواب المسجد

الخاتمة:

يتناول البحث نقاط متنوعة أهمها القيم التي استلهمتها العمارة الإسلامية وذلك في تطبيقات على المسجد الكبير للدولة و مسجد الراشد و اخيرا سوق شرق وكل النماذج المذكورة في دولة الكويت ، حيث يذكر فيها ابرز ما يوضحه الباحث من قيم نتيجة الاستلهام من الطراز الإسلامي تبعا لعصور مختلفة سواء كانت مطابقة او متخذة بصورة مستحدثة ، ويتناول أيضاً نشأ الفن الإسلامي في القرن السابع وظل يزهو حتى بلغ ذروتة في القرنين الثالث والرابع عشر ، ثم ابتدأ يضعف في القرن الثامن عشر بعد ان تأثر في الفنون الغربية ، واقبلوا الفنانون على تقليدها، والعمارة الإسلامية فروعها دراسة جميلة استوقفت الكثير من محبي العمارة ، وتمتاز العمارة الإسلامية بخلوها من الصور المجسمة والاكتفاء بإبراز الفن المعماري الجيد الى جانب ارتباطها بالتعاليم الإسلامية فناظر الى العمارة الإسلامية يشاهد الآيات القرآنية واسماء الله الحسنى تزين الجدران الى جانب أسماء الانبياء والرسل و سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أهم النتائج:

١- العمارة الاسلامية لها قيمة ثرية بين فنون العمارة، الاخرى حيث يتمركز ليس فقط على المساجد بل في العمارة المدنية ، والاسواق وغيره.

٢- تعد الاثار هي المادة والهوية لكل حضارة بمثابة مدخل يمكن من خلاله ملء الرموز.

٣- لابد من تحليل واقامة علاقة قائمة على التواصل والتعايش مع كل ما سبق من حضارات يمكن من ذلك بالبدء من الاساس القائم عليه.

٤- التحديث بالعمل الفني لا يتسم فقط على الرموز الدالة على البناء الاساسي، ولكن الهدف من اللمسة والبصمة التي يمكن ان يكون لها المتلقي يعيش شعور الجمال المرئي.

٥- المقومات الاساسية القائم عليها المساجد هي واحدة ان وجدت في نفس المسمي ولكن قد تختلف عليها الهوية فيها يخص الطراز.

٦- ليس من المهم المبالغة في التصميم والخروج عن المألوف الاساسي حتي لا يكون الشكل العام يؤثر على مكان التعبد والصلاة.

٧- التطوير في مواد البناء والادوات المستخدمة لها دور اساسي في ظهور النتيجة النهائية للعمل بوقت اقل حيث سابقاً لم تكن تلك التطورات التكنولوجيا ونجد الابداع الفني رمزاً دالاً.

٨- الهوية العامة لاي عمل هي خط السير الذي ينشأه الطراز المستخدم.

هوامش البحث:

(١) تاريخ العمارة ج٢ / توفيق عبد الجواد – ط١ –القاهرة مكتبة الانجلو المصرية،٢٠٠٩ ص٢٩٦.

(٢) كتاب الأندلس، طارق السويدان، ص٨.

(٣) د. مروان المطوع، تأثير اللون على الملتقى وانعكاسه الإيجابي، مذكرات علمية، ٢٠٠٥، ص٢١.

(٤) أندريه بارو وجان كلود مارغورون، ٢٠٠٥، مملكة ماري الفراتية في سوريا.

(٥) المساجد في الإسلام، طه الوالي، ص٢٣١.

(٦) سنن الدرامي، ج١، ص٣٣.

قائمة المراجع

١. تاريخ العمارة ج٢ / توفيق عبد الجواد – ط١ –القاهرة مكتبة الانجلو المصرية،٢٠٠٩ ص٢٩٦.

٢. كتاب الأندلس، طارق السويدان.

٣. د. مروان المطوع، تأثير اللون على الملتقى وانعكاسه الإيجابي، مذكرات علمية، ٢٠٠٥.

٤. أندريه بارو وجان كلود مارغورون، ٢٠٠٥، مملكة ماري الفراتية في سوريا.

٥. المساجد في الإسلام، طه الوالي.

٦. سنن الدرامي، ج١.

٧. اساتذة الاشتباه الثلاثة three maestridel مقال البرتو توريسياتي Alberto torresani.

٨. أحمد عبدالجواد توفيق، تاريخ العمارة الحديثة في القرن العشرين، ج٤، ط١.